النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٩٨/٢٢
الأحد ٣١ أيـــار
أحد آباء المجمع الأول
القديس الشهيد هرميوس

اللحن السادس
إنجيل السحر العاشر

الـــرســـالـــة (أعمال الرسل ٢٠: ١٦-١٨، ٢٨-٣٦)
الإنـــجـــيـــل (يـــوحـــنـــا ١٧ : ١ - ١٣)

+ المجمع المسكوني الأول

لم تنعم الكنيسة كثيرا بالسلام الذي منحها إياه الله بواسطة الإمبراطور قسطنطين الذي رفع الإضطهاد عن المسيحيين وأعلن المسيحية ديانة الإمبراطورية الرسمية في أوائل القـــرن الرابع (سنة ٣١٣ عبر براءة ميلانو)، إذ قد بدأ الشرير العمل على تقويض دعـــائم الكنيســـة عبر بث الهرطقات والبدع بين المؤمنين لكي يبعد عنهم الخلاص. لكن الرب الذي وعد أنه لن يترك كنيسته "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٨:١٦)، كان في وسطها ونزع الزؤان الذي حاول الشرير زرعه وانتصر الإيمان القويم عبر الكنيســـة المجتمعـــة فـــي المجـــامع المسكونية بشخص أساقفتها حافظي إيمانها، ومدبري أمور الشعب المؤمن.

من أولى الهرطقات التي واجهت الكنيسة هرطقة آريوس التي إستدعت إنعقاد المجمع المسكوني الأول.

وُلد آريوس وتربى في ليبيا، ثم صار شماساً فكاهناً في مدينة الإسكندرية، وكان متعلماً ومثقفاً جداً وقد تتلمذ على يد لوكيانوس الإنطاكي. كل ما نعرفه عن آريوس هو ما وصل إلينا من كتابات آباء الكنيسة ضده. من هذه الكتابات يبدو أنه أنكر ألوهة الإبن، يسوع المسيح، وزعم أنه مخلوق من العدم وغير مساوٍ للآب في الجوهر وأدنى رتبة في الألوهية من الآب وأنه ليس أزلياً، أي كان وقت لم يكن فيه الإبن. كما أعلن أن قوى الإبن غير المخلوقة مثل المجد والخلق... هي بحسب النعمة وليست بحسب الطبيعة، وقد أعطاها له الآب بقدر الإحتياج، دون أن يهبه جوهره. هذه الهرطقة تؤدي أيضاً إلى إنكار عقيدة الثالوث إذ يصبح الإبن مخلوقا عاديا يتميز ببعض الصفات الإلهية التي ليست من جوهره.

حاول البطريرك ألكسندروس الإسكندري ثنيه عن معتقداته الغريبة فلم يفلح. عندها دعا إلى مجمع مكاني عام ٣٢١ حضره مئة أسقف من مصر، شجب ٩٨ منهم إدعاءات آريوس فيما ناصره إثنان فقط. فصدر أمر بقطع آريوس مع هذين الأسقفين من الشركة.

سافر آريوس إلى فلسطين ولقي مناصرة من رفاقه القدامى، وبدأ بنشر أفكاره عبر كتيبات شعرية ونثرية وبعض الأناشيد. لقيت تعاليمه رواجا لدى الكثيرين وحتى بين بعض الأساقفة. عندما إشتد النزاع بين جماعة آريوس وبين الكنيسة وعلم الإمبراطور قسطنطين بهذا الخلاف، شعر أنه يهدد وحدة الكنيسة والإمبراطورية فاستدعى أسقف قرطبة الإسبانية أوسيوس (هوشع) وأرسله إلى الإسكندرية ليطلع على الحقيقة. لما عاد الموفد وأطلع الإمبراطور على الأمر قرر الأخير الدعوة إلى مجمع مسكوني يعقد في نيقية في القصر الملكي. لبى دعوة الإمبراطور حوالي ٣١٨ أسقفا من مختلف كنائس المسكونة في ذلك الزمن من أوروبا وآسيا وإفريقيا. دامت جلسات هذا المجمع ٩٧ يوما، من ٢٠ أيار إلى ٢٥ آب من العام ٣٢٥.

من أبرز الذين حضروا هذا المجمع كان البطاركة الكسندروس القسطنطيني وافستاثيوس الإنطاكي والكسندروس الإسكندري ومكاريوس الأورشليمي اضافة الى الكاهنين ثيتون وفكنديوس مندوبي سلفستروس بابا رومة. كما تميز هذا المجمع بحضور عدد من القديسين المعروفين مثل القديس نيقولاوس أسقف ميرا والقديس اسبيريدون أسقف تريميثوس الذي عانى قبلا من الإضطهادات، إضافة الى عدد كبير من الأساقفة والكهنة والشمامسة الذين جاهدوا خلال الإضطهادات ومنهم من كان مبتور اليدين او الرجلين، ولكنهم حضروا فقط ليشهدوا للإيمان القويم الذي تحملوا من أجله المشقات والصعاب وها هم يواجهون

الشيطان بشكل آخر. كذلك حضر هذا المجمع ولعب دوراً هاماً في الدفاع عن العقيدة القويمة الشماس اثناسيوس الإسكندري الذي أصبح لاحقاً بطريرك الإسكندرية. فقد دافع بشراسة عن ألوهة الإبن مبيّناً أخطاء آريوس واتباعه. أما عدد الآريوسيين الذين حضروا المجمع فكان حوالي العشرين.

ناقش آباء المجمع هرطقة آريوس وأعلنوا انحرافه عن الإيمان القويم وحكموا عليه وعلى رفاقه بالقطع من الشركة والنفي، ووافقوا على اتخاذ دستور الإيمان الذي كان يتلى أثناء المعمودية في قيصرية فلسطين دستور ايمان ملزما للكنيسة الجامعة بعد ان اضافوا اليه عبارة ''اومو اوسيوس''، أي ''مساو للآب في الجوهر''. هذا الدستور يشكل الجزء الأول من دستور الإيمان الذي ما زلنا نتلوه حتى اليوم: ''اؤمن بإله واحد... وبرب واحد... وأيضا يأتي بمجد اليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه''.

الموضوع الأساسي للمجمع المسكوني الأول كان بحث هرطقة آريوس، لكنه بحث أيضا موضوع تعييد الفصح ووافق على القاعدة التي كانت تعتمدها كنيسة الإسكندرية في حساب العيد، أي في الأحد الأول بعد البدر الكامل بعد الإعتدال الربيعي في ٢١ آذار. إضافة الى ذلك سن هذا المجمع قوانين (عددها عشرون) تتعلق بأمور تنظيمية وإدارية كنسية.

لم تنته قضية آريوس فصولا مع قرارات المجمع المسكوني الأول (٣٢٥) إذ تابع الآريوسيون، الذين وقعوا على قرارات المجمع خوفا من الملك قسطنطين، نشاطهم وعملوا على إرجاع آريوس ورفقته من المنفى وطرد الأساقفة الأرثوذكسيين. فقد اقنعوا الملك بأن آريوس عاد عن ضلاله فأمر بعودته من المنفى بعد أن سمع منه إعتراف إيمان ملتبس. حتى انهم استطاعوا عام ٣٣٠ إنزال البطريرك افستاثيوس الإنطاكي وبعض الأساقفة الآخرين عن كراسيهم، وأقاموا مكانهم أساقفة آريوسيين. وصار الأرثوذكس الإنطاكيون قلة تمارس عبادتهم في البيوت.

القديس أثناسيوس الإسكندري، المدافع الأكبر عن الإيمان القويم ضد آريوس، كان واقفا بالمرصاد لآريوس ورفقته. وكونه بطريركا للإسكندرية رفض قبول آريوس في الشركة مجددا، فأنصبت جهود الآريوسيين لدى الإمبراطور لإسقاطه، وقد تمكنوا من ذلك عام ٣٣٦ ونجحوا في نفيه الى بلاد الغال (فرنسا)، لكن أهل الإسكندرية رفضوا قبول آريوس في الشركة في حين قبله مجمع عقد في اورشليم. إضافة الى ذلك ضغط الملك على البطريرك القسطنطيني لقبوله في الشركة لكن آريوس مات أشنع ميتة ليلة السبت قبل الأحد المعين للخدمة عام ٣٣٦.

توفي الامبراطور قسطنطين عام ٣٣٧ فأعاد إبنه قسطنطين الثاني البطريرك أثناسيوس من المنفى، لكن هذا لم ينه الصراع، فعقد كلا الطرفين مجامعهم الخاصة، الى أن دعا إمبراطور الشرق قسطنديوس الى مجمع في سرديكيا (عام ٣٤٣) لفض الخلاف. تخلف الآريوسيون عن المجمع فثبت هذا المجمع قرارات المجمع المسكوني الأول وأعلن آباء المجمع تأييدهم لاثناسيوس.

في العام ٣٥٠ اصبح قسطنديوس إمبراطور الشرق والغرب، وناصر الآريوسيين فأمر كل من ناصر البطريرك أثناسيوس ومنهم البابا ليباريوس وهوشع أسقف قرطبة، اما اثناسيوس فقد هرب من الكنيسة التي يصلي فيها الى صحراء مصر. لم يكن هذا النفي الأول والأخير للبطريرك أثناسيوس اذ نفي مرتين أخريين الى ان ارجعه أخيرا فالنس عام ٣٦٧ وبقي يرعى كنيسته حتى آخر ايام حياته. بإختصار فإن فترة اسقفية القديس أثناسيوس الطويلة (٤٥ سنة) كانت كلها جهادا مريرا من أجل الحفاظ على الإيمان القويم، قضى منها أكثر من ٢٠ سنة في المنفى.

بعد وفاة القديس اثناسيوس تابع الدفاع عن الإيمان القويم القديس باسيليوس الكبير رغم التهديدات التي تعرض لها من الإمبراطور فالنس، والقديس غريغوريوس اللاهوتي (النزينزي) الذي أدهش أهل القسطنطينية بكلماته اللاهوتية الخمس التي ألقاها في كنيسة صغيرة هناك.

في هذه الأثناء انقسم الآريوسيون على بعضهم مما أدى الى إضعافهم. لكن الضربة القاضية عليهم كانت مع مصرع فالنس في حربه مع الغوط عام ٣٧٨ ومجيء الامبراطور غراتسيانوس الذي أعاد كل الأساقفة الأرثوذكس من المنفى. وفي العام ٣٨١ دعا الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير الى المجمع المسكوني الثاني و معه كانت نهاية الآريوسية وقد طبقت قرارات المجامع بحزم وأثبت الإيمان القويم.

+ الكاهن والتجربة (تابع)

''يا الله إلهي أنت. إليك أبكر. عطشت اليك نفسي، يشتاق اليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء'' (مزمور ٦٣: ١).

يضرب الشرير قلوب الكهنة بالكسل والجفاف والقحط لمنعهم من تبشير شعب الله بحقائق الإنجيل ولمنعهم من كشف مشيئة الله لهم. يعمل الشرير أيضا على قلوبهم أثناء الصلاة فيضربها بالجمود، ليجعل صلاتهم غير صادقة، وتتلى بسبب العادة. يمنع القلب من التأمل، أثناء الصلاة، بعظمة الله وعظمة والدة الإله والملائكة والقديسين. يتصرف بنفس

الطريقة مع معلمي التعليم الديني فيضرب قلوبهم بالجفاف ويقمعهم كي يمنعهم من تعليم حقيقة الله بلطف الى الأغصان الفتية في كرمة المسيح، لمنعهم من إروائهم من جداول الإنجيل المعطية الحياة.

''لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين في. ترجي الله لأني بعد أحمده خلاص وجهي وإلهي'' (مزمور ٤٣: ٥). الكآبة التي ندخل فيها عبر الإخفاق في أي عمل كهنوتي، والحس بالخجل المرافق له، هما عمل العدو غير المنظور، الذي كأسد زائر، يسعى دوما ان يلتهمنا، وأن يرغمنا على السقوط وعلى الخطيئة. لذلك، ولكي لا نسقط ولا نخطىء، علينا ان نهيء أنفسنا لكل امتحاناتنا عبر الدرس الجاد المتلازم مع الصلاة والصوم، طامحين الى الكمال في كل الأمور. وإذا ما سقطنا، يجي ألا ندع أنفسنا تغرق في الخجل والكآبة، بل يجب ان نرمي جانبا كل اكتفاء ذاتي أو وأنانية، ونتضع أمام الله مقرين بآثامنا وخطايانا ومعترفين بدون خجل بكسلنا وعدم اهتمامنا وضعفنا. يجب أن نقصي أنفسنا الى أعماق رحمة الله ونسأله النعمة والمعونة لكي نتمم بنجاح عملنا في المستقبل.

''العالم يمضي وشهوته، واما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت الى الأبد'' (١ يوحنا ٢: ١٧).

عدوك الشرير، أبو الكذب، لا ينام، ويسعى بكل وسيلة متاحة له ان يقسي قلبك ويجعله مزيفا وخداعا، ويخرج منه الإيمان والرجاء بالله بالإضافة الى محبة الله ومحبة القريب والتعاطف معه، وأن يشغله بملذات العالم الوقتية. إنتبه لنفسك ولأفكار قلبك، ولا تكبل نفسك بشهوات العالم وملذاته. لتكن سعادتك بالإله الواحد والنفس الإنسانية.

''...وهموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر'' (مرقس ٤: ١٩).

يا رب، إجعل كهنتك يلبسون البر، إجعلهم يتذكرون عظمة دعوتهم، لا تدعهم يقعون في اشراك العالم والشيطان، أنقذهم من كل إهتمامات العالم وملذات الغنى وكل الشهوات الأخرى الداخلة الى قلوبهم.

''إهتموا بما فوق لا بما على الأرض'' (كولوسي ٣: ٢).

على الكاهن أن لا يهتم بأمور العالم، كي لا يقع في شراك العدو خلال إقامته الأسرار المقدسة، بل يحترق بالمحبة النقية لله ولبنى جنسه، رجالا ونساء، الذين ضاعوا بسبب الخطيئة وخلصوا بنعمة المسيح في الروح القدس عبر خدمة الكاهن (رعايته). لكن كم هي خطيئتنا كبيرة ! وكم هو قوي إلتصاقنا بالعالم ! حتى عندما نحتفل بالأسرار، لا نستطيع في بعض

الأحيان، بحكم العادة، أن نطرح عنا الإهتمامات الدنيوية، وبالتالي يظلم العدو عقلنا ويشوشه ويفسده، ويكبل قلبنا ويأسرنا. نحن نستحق هذا، لأن الخطأ خطأنا.

القديس يوحنا كرونشتادت

+ تأمل

وهل نحصل على منفعة أكبر من منفعة القيام بالخدمة التي هي حسب قول السيد المسيح، الشهادة على محبتنا له: ''اتحبني يا بطرس؟... نعم يا سيد...اذا أرع خرافي'' (يوحنا ٢١: ١٥). إن السيد في سؤاله بطرس، لا يقصد أن يستعلم، وهو العلام بذات الصدور، بل ان يعملنا نحن مبلغ اهتمامه برعيته، وأهمية الرسالة وعظمتها التي يقوم بها راعي قطيع المسيح الروحي. والشيء الذي لا يقل أهمية عن هذا، انما هو ذلك الأجر الكبير الذي يحفظه السيد لخادمه. حين نرى خادمنا يعنى جيدا بقطيعنا، نتخذ من عنايته دليلا قويا على محبته لنا، والأمر، أمر قطيع اشتري بالمال. فأية مكافأة أعظم من المكافأة التي ينالها من يرعى للمسيح قطيعا، لم يشتره بمال ولا بما يشبه المال، بل اشتراه بدمه الخاص؟ وحين نسمع بطرس يقول: ''أنت تعلم يا سيد أني احبك'' – كأنه يؤكد للسيد محبته له – نظن أن السيد قد اقتنع بمحبته وأخذ الجواب على سؤاله غير أن السيد هذا لم يقصد ابدا. وانما كان يقصد ان يعرف بطرس، كما يعرفنا نحن، طريقة إظهار محبتنا له ، بمحبتنا للكنيسة، التي أراد ان يهدي بطرس ويهدينا نحن الى محبتها.

لماذا أعطانا الله تعالى ابنه الحبيب؟ ولماذا لم يوفر هذا الإبن الوحيد؟ لأنه كان يريد أن يجتذب اليه قلوبا كانت تتباعد عنه، ولأنه كان يريد أن يختار لنفسه شعبا. ولماذا بلغت به محبته الإلهية الى أن أهرق دمه؟ انما أهرق دمه لكي يشتري هذا القطيع الذي أوكل رعايته الى الرسل القديسين. ''من هو ذلك الخادم الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على أهل بيته؟'' (متى ٢٤: ٤٥). الظاهر هنا أن السيد المسيح، يسأل عن شيء، مع أنه يعلم جيدا ما يسأل عنه. وهكذا فقد سأل بطرس لا لكي يعرف محبته له، بل ليعلمه الطريقة التي بها يظهر هذه المحبة. وهنا يسأل أيضا: ''من هو ذلك الخادم الأمين الحكيم؟'' تعظيما لشأن ذلك الخادم وخدمته، وتعظيما لمكافأته ان سيده يقيمه على جميع أعماله.

... ان الرعي ، اذا فقد شيئا من أغنامه – سواء سطا عليها الذئاب، أم اختطفها السارقون، أم فتك بها المرض، أم لغير ذلك من الأسباب – يستطيع أن يبرر نفسه أمام سيده. وإن وقعت عليه جريمة فقدها، فإنه يستطيع ان يعوض عنها من أتعابه. أما من أوكل رعاية النفوس، أي قطيع المسيح الروحي، فعليه ان يعوض عن فقد الأغنام، لا بمال، بل بنفسه.

والجهاد الذي عليه ان يقوم به، يختلف عن جهاد ذاك مشقة وخطرا. فليس عليه ان يناضل الذئاب واللصوص والمرض. ان القديس بولس يقول: ''ان مصارعتنا ليست ضد لحم ودم بل ضد الرئاسات والسلاطين، وولاة العالم، عالم الظلمة والأرواح الشريرة التي في الهواء,, (افسس ٦: ١٢). نضال الكاهن هو ضد هذه العصائب المخيفة من الأعداء، وضد هذه الحملات المرعبة التي لا يحتاج جنودها الى سيف ونار، لأن لها من طبيعتها أسلحة، أين من فتكها أسلحة البشر جميعا؟... واستمع أيضا الى بولس نفسه، بعد ان اشهدنا من الأعداء جحفلا غير منظور، يشهدنا جحفلا آخر عنيدا مكشوف الحرب والعداوة في عمل اللحم والدم وهو: ''الزنى والنجاسة، والعهر، وعبادة الأوثان، والسحر، والعداوات، والخصام، والغيرة، والمغاضبات والمنازعات، والمشاقات، والبدع، والمحاسدات، والقتل، والسكر، والقصوف، وما يشبه ذلك'' (غلاطية ٥: ١٩- ٢١)، وهو لا يسمي الكل بل يترك لنا ان نفطن مما يقوله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

(٣٤٤ - ٤٠٧م)